٤ تشغيل الإيمان

obeikandl.com

obeikandl.com

تشغيل الإيمان

تمر بالإنسان أحداث في حياته يكون فيها إيمانه محل اختبار حقيقي، وترتقي هذه الابتلاءات لدرجة أن أولي العزم من الرسل فقط هم الذين يتجاوزونها.

تأمل موقف أولي العزم من الرسل عليهم السلام:

إبراهيم عليه السلام ـ رد جبريل، وهو في المنجنيق.

موسى عليه السلام ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾

محمد ﷺ ـ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ عندما وطئت أقدام جوالة قريش فوهة غار ثور.

وتأمل موقف هؤلاء الرسل عليهم السلام:

لوط - ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ عندما داهم منزله الفساق من قومه بحضور الملائكة.

يوسف عليه السلام ـ ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ عندما خرج أحد السجينين معه.

زكريا عليه السلام ـ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ عندما بشرته الملائكة بيحيى.

وللإمام جعفر الصادق رضي الله عنه حديث مهم عن تشغيل الإيمان لدفع القلق والخوف استنباطاً من القرآن العظيم، حيث يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي في أحد مباحث تفسير الاستعاذة:

obeikandl.com

«والحق سبحانه وتعالى، يريدك عندما تقرأ القرآن، أن تصفي نفسك له سبحانه وتعالى، وهو جل جلاله يعلم مكايد الشيطان ومداخله إلى النفس البشرية، وأنه سيوسوس لك ما يفسد عليك فطرتك الإيمانية، فيأتي القرآن على فطرة فسدت، فلا يحدث استقبال لفيوضاته على النفس البشرية، ولكن إذا استعذت بالله، فقد استعذت بخالق، فلا يجرؤ الخلق على الاقتراب منك، ولذلك إن أردت من جهاز استقبالك أن يكون صالحاً لصفاءات الإرسال سامعاً لكلام الله؛ لأن الله هو الذي يتكلم، فالقرآن ليس كلام القارئ له، ولكنه كلام الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه أكثر آل بيت رسول الله معرفة بأسرار القرآن الكريم بعد تصنيفه لمفزعات الحياة عند الإنسان، هي الخوف والغم والهم والضر وزوال النعمة:

«عجبت لمن خاف، ولم يفزع إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾. فقد سمعت الله بعده يقول: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾ وعجبت لمن ابتلي بالضر، ولم يفزع إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ فقد سمعت الله بعده يقول ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ ﴾. وعجبت لمن ابتلي بالغم

كيـف لم يفـزع إلى قـول الله تعـالى: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فقـد سـمعت الله بعـده يقـول: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. وعجبـت لمـن أُضـير، ولم يفـزع لقول الله سـبحانه وتعـالى: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾. فقـد سـمعت الله تعـالى بعدهـا يقـول: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾.

وأنت مادمت في معية خالقك لا يجرؤ الشـيطان أن يذهب إليك أبداً، والتوكل على الله -عز وجل- في دفع الضر وجلب النفع هو في الحقيقة خلاصة الإيمان، تأمل: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾.

وكأن كل الهدى هو في التوكل على الله تعالى، وفي قصة بقرة بني إسرائيل ملحظ إيـماني عظيم، فالبقرة أصلاً كانت لرجل صالح مـن بني إسرائيل حضرته الوفاة، وله ولد واحد لم يبلغ الرشد، وليس له أحد يثق فيه يودع هذه البقرة عنده، فاستشار زوجته المؤمنة، فأشارت عليه أن يستودعها الله -عز وجل- ويرسلها في الفلاة، فتوكل على الله وفعل، ثم إنه توفي، وبعد مدة وعندما بلغ الابن سن الرشد سأل أمه إن كان أبوه قد ترك شيئاً؟ فتذكرت البقرة فقال: أنى لي أن أجدها؟ فقالت: إن أباك قد توكل، فاسترعاها، فتوكل واطلبها ففعل، وذهب إلى الفلاة يبحث عنها فوجدها، وعندما دخل بها المدينة إذا أوصافهـا تنطبق تماماً على أوصاف البقرة المذكورة لبنى إسرائيل في سـورة البقرة؛ لكشـف جريمة القتل، وفاوضوه على شرائها، وكان يستشير والدته، فأدركت حكمة الله في هـذه البقـرة، وقالت لـه: لا تبعها عليهم إلا بملء جلدها ذهبـاً، ففعل وقبلوا. إذا استطاع الإنسان أن يبني إيماناً قويًّا راسخاً، فلا بد أن يوظفه في إدارة شؤون حياته؛ دفعاً للضر وجلباً للنفع وراحة لقلبه وسكينة في النفس، وعطاء لمجتمعه وتضحية له.